المدرسة البريطانية للآثار في العراق

تنظيم جديد لعهد جديد

بقلم: كارين دابروفسكي

منذ تأسيسها عام 1932 كتذكار لحياة وأعمال "غيرترود بيل"، فإن المدرسة البريطانية للآثار في العراق هي المعهد الرئيسي في بريطانيا المسؤول عن تنظيم التنقيبات الآثارية في العراق وسورية والخليج. وهي تمول تمويلا خاصا، وبشكل أساسي من قبل وقف غيرترود بيل، ولكنها تمول أيضا من خلال اشتراكات تدفع إلى حملة تبرع. وقد تسلمت المدرسة منحة حكومية في عام 1947 ساعدتها على تعيين مديرها الأول في العراق البروفسور ماكس مالوان وهو زوج الكاتبة المسرحية أغاثا كريستي. وقد قامت المدرسة بالتنقيب في العراق وسورية قبل الحرب العالمية الثانية ثم أنها عادت للعمل في العراق منذ عام 1948 واستمرت حتى عام 1990.

أساور.

Bracelet.

والسكرتيرة جوان بورتر ماكفير تبتعد عادة عن الكلام في السياسة، ولكنها لم تستطع منع نفسها من التعليق على قصر النظر في مسألة فشل الحكومة المؤقتة في العراق التي أعلنت في حزيران في تخصيص وزارة للسياحة. وقالت: "لست أفهم سبب ما حصل. ولكني أعلم أن السياحة هي أمر يعتمدون عليه في المستقبل، خصوصا وأن العراق مهم من حيث تراثه التاريخي. والعراقيون فخورون بذلك دوما وأن من المهم أن يبرّز مخزون البلاد التي هي مهد الحضارة.

ونحن نترقب الوقت الذي تستقر فيه الأمور ويستطيع الناس فيه السفر إلى العراق. ونحن نعلم أن العراقيين ودودون وأنهم سيرحبون بالسياح حالما تستقر الأمور. وليس الوقت الآن مناسبا لتشجيعنا الناس على السفر. ولكن حال اتضاح الموقف فأعتقد أن العراق هو الوجهة السياحية المدهشة للسائح المهتم. ولا أراه وجهة سياحية لمن يرغبون في متعة لا تتطلب تشغيل الذهن. وإذا كان هناك شخص لديه اهتمام بالتاريخ، والإسلام وتوطيد الأواصر مع العالم العربي، فسيكون مكانا يندهش بزيارته". والوجهات المهمة للسياحة الدينية هي المزاران المقدسان لدى المسلمين الشيعة: النجف وكربلاء.

إن عودة المدرسة، اعتمادا على دعوة من الحكومة العراقية ذات السيادة، تعتمد بشكل أساسي على الوضع الأمني، والتمويل الإضافي. وتبحث المدرسة حاليا سبل مساعدة رفاقهم العراقيين، وتنتظر هدوء الأوضاع حتى تتمكن من إرسال كمية من الكتب جمعت بمساعدة المتحف البريطاني، إلى المتحف العراقي والجامعات. ويحتل التدريب أولوية مهمة لدى العراقيين. ومنذ حرب الخليج الأولى قلت الفرص المتاحة للعلماء والطلاب العراقيين في الاستمرار ببحوثهم وهم يحتاجون إلى تطوير أنفسهم والتعرف على التطورات الجديدة من خلال حصولهم على المطبوعات والمجلات التي منعت عنهم منذ فرض الحصار في عام 1991. والمدرسة متمكنة من منح بعثات تعرف بـ"كرستي/مالوان"، وهي تمول من تبرعات ابنة أغاثا كريستي، لجلب آثاريين شباب وموظفي المتحف إلى إنكلترا لمثل هذا التطوير. والمدرسة أيضا تساهم في منح أف. سي. أو. شيفننج التي منحت لعراقيين.

وفي نيسان/ أبريل من هذا العام، قامت نوره الكيلاني، المسؤولة عن التراث الإسلامي في مجموعة بوريل في غلاسكو، بعقد دورة لتدريب موظفي المتحف العراقي وبدعم مالي من المدرسة. وقالت الكيلاني: "حالما ابتدأنا وجدت موظفي المتحف العراقي شبابا ومتحفزين. لقد عانوا الكثير منذ آذار 2003 ولكن الأمور آخذة بالتحسن في المتحف. وهم يتطلعون إلى استكشاف عالم المتاحف وطرق عملها في أجزاء أخرى من العالم. وبحثنا خلال المناقشات والندوات القضايا الرئيسية التي تهم قطاع المتاحف، بضمنها السبل إلى التعرف على المجموعات الأثرية (مادياً وفكرياً)، التأويل وتطوير الجمهور، التربية ونشر المعلومات، والتصميم والعرض".

وقضت هيلين ماكدونالد، الباحثة المتقدمة في المدرسة، وزميلتها من المتحف البريطاني سارة كولينز (التي أجرينا مقابلة معها في العدد الماضي) مدة شهرين في بغداد وبابل في شهر حزيران/ يونيو ←

طاقم المدرسة.

The staff of the BSAI.

فخاريات.

Pottery.

2003 كمستشارتين لوزارة الثقافة. "لقد كنّا نأمل في مساعدة زملائنا العراقيين بعد ما حصل من نهب للمتحف العراقي والنهب المستمر للمواقع الأثرية في الجنوب. وكان من حسن حظنا في الأيام الأولى في بغداد أن ندهش بالعثور في خزينة البنك المركزي على مجموعة النمرود. وقد تم نقلها من هناك بعد أن غمرت المياه الغرفة كنتيجة للقصف، وقمنا بمساعدة موظفي المكتب في فتح المجموعة/الكنز ولفها من جديد في مواد نظيفة وجافة. وكان من المفرح أن نرى أن الكنز قد نجا من القصف، وكذلك مجوهرات أور. وقد عرض كنز النمرود منذ الثالث من تموز/ يوليو في المتحف لغرض طمأنة العالم بأنه قد نجا". كما قالت الآنسة ماكدونالد في تقريرها.

"ولقد عرض علي بعد ذلك منصب مسؤول الشؤون الثقافية من قبل سلطة الاحتلال في المنطقة التي تضم النجف، كربلاء، واسط، الأنبار، بابل والقادسية. وكنت آمل بأن وجودي في الجنوب سيجعلني على قرب من المنطقة التي تعرضت للنهب وسيكون بإمكاني الخروج وتفقد مدى عمليات النهب والضغط للحصول على نوع من أنواع صيانة المواقع الأثرية. ولقد أصبح النهب أشد كلما انحدرت جنوبا. ولكن من المؤسف أن الوضع الأمني قد تدهور بحيث تعذر السفر".

وقد بقي أعضاء المدرسة على صلة وثيقة بمديرية الآثار، وبقي الآثاريون البريطانيون على اتصال مع نظرائهم، من خلال زيارة شخصية بشكل أساسي. وإن من نية المدرسة العودة إلى العراق في أقرب فرصة ولاستعادة عملها. ولكن القرار النهائي يبقى في يد السلطات في بغداد. "الكثير يعتمد على ما يريده العراقيون. وسنرى فيما إذا كانوا يريدون منا العودة إلى التنقيب. ويبدو أن هناك حاجة لإنقاذ الآثار حيث إن بناء أحد السدود الكبيرة سوف يدمر آشور ولكن هذا المشروع قد أوقف العمل به. وهناك مناقشات بشأن إيقاف التنقيبات حتى ينظر في تحديد أضرار النهب. إذن المسألة تتوقف على قرار العراقيين بشأن ما يحتاجونه وكذلك من سيذهب إلى هناك كمتخصص في هذا المجال". كما قالت السيدة ماكفير.

والمدرسة معنية أيضا بالخليج والجزء السوري من بلاد ما بين النهرين. وهي حاليا تمول تنقيبات جديدة في "شاغار بازار" شمال شرق سورية، تحت الإدارة المشتركة للدكتور أوغستا ماكماهون (جامعة كامبردج) وبروفسور تونغا (جامعة ليجيه). الدكتورة جوان أوتس تعمل في "تل برك". وهاتان المنطقتان فيهما تشابه مع الجزء الجنوبي من بلاد ما بين النهرين. وفي بعض الفترات يمكن اعتبارهما متماثلين من الناحية الثقافية. والدكتورة هاريت كروفورد (الكلية الجامعية/ لندن) والدكتور روب كارتر عملا في شمال شرق الكويت، على بعد 60 كم شمال مدينة الكويت حيث يوجد موقع آثاري فيه أوان ثبت أنها عبيدية. ونكرر مرة أخرى أن طبيعة التماس مع بلاد ما بين النهرين لها أهمية كبيرة.

وهناك سيل من المطبوعات الأكاديمية للمدرسة، كالمجلات والنشرات والكتب، ومنها: "النمرود: اكتشاف المدينة الإمبراطورية الآشورية"، و"خمسون عاماً من الاكتشافات في بلاد ما بين النهرين". ■

نقوش حيوانات.

Animal inscriptions.